شعب مترف

والعالم من حوله فى شظف وحرمان

تكتوى شعوب الأرض جميعها — بويلات هذه الحرب الطاحنة من تقتيل وتجريح وتشويه وتخريب ، ومن مخاوف وأهوال لم تخطر على قلب بشر فى جميع العصور ، مخاوف وأهوال أقلها وأخفها ويلات الجوع والحرمان من الكماليات ومن الضروريات .

ومع هذا كله فتلك الشعوب تقاوم وتناضل وتتحور حسب الظروف والأحوال وتنسى ما كانت عليه حياتها فى أيام الأمن والرخاء لتساير الظروف الجديدة وتنسجم مع التكاليف الحاضرة .

وليس على وجه الأرض إلا شعب واحد لايزال غير عابئ بما يحيط به و بالعالم كله ولا يزال مترفا يعنى بالكماليات و بكل مطالب الرفاهية . ذلك هو الشعب المصرى الذى يعيش الآن وكأنه يحيا فى أحلام .

ففى انجلترا الأمبراطورية ذات الموارد التى لاتنفد أصبح لبس القديم " مودة " تدل على الذوق السليم والفطرة المستقيمة وأصبح أفراد الطبقات الأرستقراطية يفتخرون بهذه " المودة " ويضربون المثل فيها للأوساط والفقراء بحيث صار التأنق فى الأزياء ولبس الجديد مجلبة للنقد والاشمئزاز . وعمدت اسيدات الى ملابس أزواجهن القديمة فعدلنها ولبسنها وابتدعن فيها مودات جميلة .

وفى استراليا أغلقت الملاهى ودور السينما والتمثيل لأن الموقف جد لاهزل فيه ، وتكليف لاترويح فيه ، وعمل لاراحة فيه ، فيجب أن ينصرف الجميع للعمل والكدح والجهاد بعد سنوات طويلة من الراحة والاستمتاع والرفاهية .

وفى الولايات المتحدة ذات الثروة الخيالية راحوا يفكرون فى اقتصاد الأجزاء الزائدة فى الملبس كياقة القميص وثنية البنطلون وجيوب الجاكت وسواها ، وحسبوا الوفر الناشئ عن إلغاء هذه الأجزاء بخمسين مليونا من الجنيهات فى العام .

وفى فرنسا يستحيل على الفرد أن يتناول طعامه بأقل من ٢٥٠ فرنكا وثمن الحذاء من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ فرنك وتصل طرود البريد إلى المرسلة إليهم مفتوحة وتكاد تكون فارغة إذ أن كل أحد يبحث عن الأكل حيث يستطيع أن يجده .

وفى معظم دول العالم توزع الضروريات بالبطاقات فينال الفرد الواحد فى انجلترا مثلا من اللحم ما ثمنه شلن واحد فى كل أسبوع وهو لا يتجاوز نصف الرطل على وجه التقريب . وفى الصين حرمت القوانين بيع النبيذ والكحول فى المطاعم كما حددت ألوان الطعام ولا يوجد من الملاهى سوى دور السينما . وليس لصينى أن ينتقل من مكان إلى آخر فى سيارة خاصة .

والحالة فى دول المحور أشد ضيقا منها فى الديمقراطيات لفقرها من الأصل ولحصار المضروب حولها وللتخريب الذى أصاب البلاد المحتلة بحيث تكاد لا تكفى نفسها فضلا على تغذية الفاتحين .

وبينما الحالة هكذا فى جميع أرجاء العالم حتى تركيا وسويسرا وأسوج المحايدة إذا بالحالة فى مصر حالة ترف وإسراف بدرجة لا تطيقها أوقات السلام لا أوقات الحروب .

نعم لا يزال الإسراف فى ألوان الطعام لدرجة الإفراط والتخمة . والأيام الثلاثة التى مضت فيها اللحوم لا تزال الموائد تزخر فى اليوم الأول منها باللحوم المختزنة فى اليوم السابق ، وفى اليوم الثانى تعمر الموائد بالدجاج والأوز والحمام ، وفى اليوم الثالث تتفكه بالأسماك واللحوم المحفوظة تحت أنف الأوامر العسكرية التى لا تستطيع وحدها أن تصنع المعجزات .

ولا يزال الإسراف فى الملابس ؛ فلم يتخلف أحد من القادرين فى الشتاء الماضى عن شراء الأصواف المعتادة له ولزوجه ولأبنائه وبناته فى كل عام ؛ وها هو ذا الربيع والصيف فى أثره حيث يقبل الجميع على الحرائر وسواها على الرغم من ارتفاع الأسعار ، وبخاصة السيدات اللواتى لم يشعرن حتى اليوم بأن هناك أزمة وأن هناك حربا طاحنة ذات ويلات !

ولا يزال البذخ فى الولائم والحفلات — ومصر أكثر بلاد الله ولائم وحفلات — حيث تصف الموائد وتتنوع المطاعم والمشارب ، كأنما هى الليلة الأخيرة فى الحياة فلا بد أن يحتاز كل آكل وكل شارب أقصى ما يستطيع احتيازه قبل فوات الأوان .

ولا يزال التبذير فى مظاهر الفرح والحزن على السواء . فالسرادقات هى السرادقات وإعلانات الوفاة والشكر هى كما كانت مع ارتفاع أسعار الاعلان ، والمآكل والمشارب والمظاهر لم تتأثر بشىء اسمه حرب ولا بما يقول عنه الناس فى العالم الآخر : أزمات ! .

وتأثيث البيوت ولا سيما جهاز العرائس ، لم يتأثر بالظروف الحاضرة مع الشكوى من ارتفاع السعر ورداءة الأثاث والأدوات . فالشكوى على ما يبدو شىء والشراء شىء آخر . ومهما تكن التكاليف فلا بد من استحضار ما كان معتادا استحضاره فى أزمنة الرخاء . ثم الشكوى بعد ذلك من الغلاء !

والمقاهى والمشارب والملاهى لاتزال تعج برواداها رغم أنف الغلاء وأنف الظلام . ولايزال المئات بل الألوف ملطوعين على المقاهى والمشارب يلوون أعناقهم متلفتين للرائحات والغاديات فى شبه ذهول طول النهار ونصف الليل . وهؤلاء غير مرتادى الملاهى والحانات وهم يعدون بالمئات !

بل إن أدوات الزينة لم ينقص استعمالها شيئا فالعطور و " الروج " و " البودرة " و " الزميل " وسواها من بضاعة السيدات تتمتع بنفس الإقبال الذى كانت تتمتع به فى سنى الرخاء .

لم يدرك أحد فى مصر أن فى الدنيا أزمة وأن فى العالم حربا ، وأن فى أوربا وأمريكا شبانا وفتيات يعيشون عيشة خشنة جافة ورجالا وسيدات يتحملون آلام الشظف والحرمان والجميع يتحملون بعد هذا كله آلام التقتيل والتخريب بالليل والنهار .

وتلك بلاهة شنيعة ، بل أثرة مجرمة ، بل موت فى الضمائر والاحساس !

وهذا القول لا يوجه بطبيعة الحال لاثنى عشر مليونا من المصريين يعيشون فى شظف مرهق حتى قبل هذه الحرب ، وإنما يوجه للملايين الأربعة الباقية من المترفين والأوساط الذين يتمتعون والعالم كله ومواطنوهم الآخرون فى شظف وحرمان .

هذا الترف جريمة وطنية فوق أنه جريمة إنسانية ، فاستخدام قوة المقدرة على الشراء إلى آخر حدودها يستنفد السلع من الأسواق — وهى محدودة فى أيام الحروب — فضلا على أنه يرفع أثمانها رفعا غير معقول ، والذين يشقون بارتفاع أسعارها أو نفادها هم الفقراء المحدود والدخل الذين لا يجدون بدا من الحصول على الضرورى لهم بأفدح الأثمان .

ومن هنا تزيد حدة الفقر الذى يعانيه ملايين المصريين وتعجز الإيرادات الصغيرة عن مواجهة الغلاء الفاحش وعن استيفاء الضروريات التى لا غنى عنها للحياة ، فيصاب الملايين بالأمراض وينشأ عن هذا ضعف فى قوة الإنتاج يؤثر فى الثروة العامة للبلد . وتنشأ عنه كوارث قومية مؤذية ، وكل هذا لينال فريق من الناس أقصى شهواتهم فى الطعام والشراب واللباس !

* * *

وها هى ذى الحرب تقترب من مصر فيزيد الخطر ، فلا بد إذن من حركة عاجلة لمقاومة هذا الترف ، وقد سبقتنا الأمم الأخرى فى هذا المجال مستخدمة وسائل ثلاثا نستطيع استخدامها بلا عناء .

فالوسيلة الأولى هى تنظيم الدعاية فى كل مكان للاقتصاد ، ونشر روح الاستهجان لكل ترف وكل إسراف بحيث ينقلب التأنق والبذخ رذيلة تدعو للانتقاد ، وهذه الروح حين تنتشر تقوم مقام القوانين الرادعة ، ولا سيما إذا استطعنا نشرها فى أوساط السيدات .

والوسيلة الثانية هى استخدام نظام البطاقات ، وما دامت وسائل الاقناع لا تجدى فيجب الأخذ بوسائل الإلزام ، و إذا كانت بعض المواد غير المضبوطة لا يمكن توزيعها بالبطاقات فالمواد الأخرى كالملابس والأحذية والأثاث وأدوات المنازل يمكن أن يسرى عليها هذا النظام .

والوسيلة الثالثة هى ضبط الاستيراد والإنتاج بحيث تقدم الضروريات على الكماليات وقد أخذت الحكومة المصرية فعلا بهذه الوسيلة ولكنها لا تزال فى حاجة إلى استبعاد بعض المواد نهائيا وتوفير أماكن الشحن ودور الانتاج لبعض المواد الاخرى من الضروريات .

ومسألة مقاومة الترف لا تقل أثرا فى أخلاق الشعب وكيانه عن مقاومة الجرائم والمخدرات وعن إلغاء البغاء ، فلننظر إليها من الوجهة الخلقية أيضا فوق نظرتنا إليها من وجهة الاقتصاد .

من أدب القرآن

وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۞

[سورة الاعراف]